

## نوعيات الناس في تنظيم فتح الله غولان الذي قام بالمحاولة الانقلابية في 15 تموز والعوامل التي دفعت الشعب التركي للتصدي لهذه المحاولة

الأستاذ المساعد الدكتور مصطفى سليم يلماظ، جامعة كرابوك - كلية الشريعة، s.mutekellim@gmail.com

واجه الشعب التركي ليلة 15 تموز 2016 أخطر وأصعب قراءة لمشهد ميداني في تاريخه. لقد وضع هذا التنظيم الخائن الذي يعود جذوره إلى الخارج (تنظيم فتح الله الإرهابي) تلك الليلة خطته الوحشية موضع التنفيذ بقصد تحقيق أماله عبر تحويل أبناء البلد وقيم هذه البلاد إلى درع لآماله الخبيثة يحتمي خلفه. ولكن نسي هذا التنظيم بتكبره الذي تعاطم فيه " عقدة الألوهية " عامل هام جدا وهو الشعب التركي. لقد أظهر هذا الشعب الذي يعتبر من بناء الحضارة الإسلامية مصدر الحياة للحضارة الإنسانية شيفرته الوراثية بجرأة تلك الليلة وتصدى للدبابات والرصاص بصدر عاري وأضحى مجاهدا ولكن لم يسمح بالتعدي على شرفه. لقد ظهر صاحب الدولة بعد أن ظن أن لا صاحب لها وأعطى درسا هاما للرأي العام العالمي في الديمقراطية عبر التوحد مع قائده. وبهذه المناسبة ندعو لشهادتنا الرحمة ونشعر تجاههم بالامتنان ونتمنى لمجاهدنا الشفاء العاجل. لقد أثبت الشعب التركي تلك الليلة مرة أخرى عندما ضحى بدمه وروحه فداء لوطنه أنه ما زال حيا كما كان أجداده في معركة جناق قلعة الذي قال عنهم شاعرنا الكبير محمد عاكف " لم يكن بهذا المجد سوى أسود بدر". سنحاول هنا سرد العوامل أي الشيفرة الوراثية التي دفعت الشعب التركي على خوض معركة الاستقلال تلك الليلة ومحاولة فهم البنية الشخصية لعناصر هذا التنظيم الذي قام بالهجوم الغير المحدود أخلاقيا على قيم ومبادئ هذا الشعب بغية الوصول لأهدافه. لنقف أولا عند نوعيات الناس الذين يتشكل منهم هذا التنظيم الإرهابي. يحتوي هذا التنظيم الذي نجح في التسلل بالمعنى الحقيقي إلى كافة المواقع الحساسة في مؤسسات الدولة بشكل باطني منذ ما يقارب نصف عصر حسب ما أمكن معرفته من ثلاث أنواع من الأفراد:

**1. النوع الذي يعتبر الإطاعة المطلقة ذروة التدين وينظر إلى كل طريق يوصله إلى الهدف مباحا.** يجب علينا أولا التطرق على جذور ظهور هذا النوع. إن ما يجب علينا مراجعته في هذه النقطة هو علم الكلام الذي يعد أساس وأصول جميع العلوم كما ويجب علينا تذكر طرق (مصادر) الحصول على المعلومات موضوع الذكر هنا. تشير معظم كتب الأصول إلى ثلاث مصادر أساسية للحصول على المعلومات وهي الحواس الخمسة والعقل والخبر الصادق وهي المصادر الوحيدة لجمع المعلومات. إن المصدر الأول والمصدر الثاني لجمع المعلومات معروفة للجميع ولذلك دعونا نقف عند المصدر الثالث ألا وهو الخبر الصادق. ينقسم الخبر الصادق إلى نوعين: الخبر المتواتر والخبر النبوي. الخبر المتواتر هو الخبر البين للجميع والذي لا ينكره أحد. فعلى سبيل المثال لا يستطيع أحد أن ينكر وجود مدينة تسمى بإسطنبول. لأن وجودها مختبر ومتناقل بين الناس بشكل بين. أما الخبر النبوي فهو الوحي الذي تأخذه الرسل من الله تعالى عن طريق جبرائيل عليه السلام والذي تمت الإشارة إليه في القرآن الكريم. وهو الخبر الذي يؤيد فيها الله المصدر الوحيد لعلم الغيب رسوله بمعجزة من عنده ويعلمه المبادئ التي توصل الإنسانية إلى الخير. يمتاز هذا الخبر بأنه ذو قيمة عالية وأكثر مصداقية لأن الحصول عليه يحتاج إلى العقل فقط ولأن الإبلاغ عنه من قبل رجل موثوق مرجح على الخبر المتواتر المنقول من قبل الآخرين. ولذلك فإن الرجال الذين يتوهمون بأن فتح غولان يأتي بأخبار من الغيب ويغرقون في عقدة الألوهية لا قيمة لأي منهم. لأنه من غير الممكن التأكد من صحة الأخبار التي يأتي بها هؤلاء. أما الناس الذين يعانون من الهوس الاكتئاب المزمن مثل فتح

غولان يستخدمون مفهوم " الإلهام " والمصطلحات الأخرى المشابهة والتي لا تقبل على الإطلاق من مصادر جمع المعلومات في علم الكلام ويدعون بأنهم يقابلون الرسول (ص) وحتى الله عز وجل ويرتدون بذلك درع من الحصانة القوية في نظر الناس الذين أقتنعوا بأنهم جهة لا يمكن التشكيك بها. وهذا ما يفسر تجاوز شخص بمنصب الجنرال أو المدير العام أو المناصب الأخرى للهيكل الهرمي في الدولة وإطاعتهم دون سؤال أو استفسار للأوامر التي تأتيهم من شخص في تنظيمهم. وعلى ذلك يمكننا أن نصنف هذا النوع من المنتسبين بمختلف مستوياتهم من المتعاطفين إلى المسؤولين الكبار في التنظيم بالنوع الغارق في الحماسة الذي يعتبر الاستفسار ذلاً.

**2. نوع الحاشية الذي يتبنى الثراء الغير الشرعي خلال فترة قصيرة فلسفة لحياته.** يعلم ويؤكد كل أصحاب الضمير الحي في هذا البلد بكل وضوح بأن استغلال هذا التنظيم الإرهابي لموارد البلد من التعليم إلى الإعلام هي حقيقة لا شك فيها. أضحي هذا التنظيم الذي استطاع أن يمتلك قوة معينة عبر استغلال موارد هذه البلاد مقاول جيد من الباطن في نظر القوى العالمية الخبيرة في الحصول على منافع كبيرة دون اللجوء إلى الحروب وتم استغلاله في تأمين وتقوية سيطرتهم في الكثير من الدول. وبذلك سحرت الإمكانيات التي تقدمها هذه الشبكة الإجرامية عيون هذه الحاشية الأمر الذي جلب معه التقاف الكثير من الناس من قطاعات مجتمعية مختلفة حول هذا التنظيم بسهولة.

**3. النوع الخاضع لتهديدات التنظيم عن طريق استغلال نقاط ضعفهم ممن لهم أهمية خاصة في الدولة والمجتمع ويرغب التنظيم في استغلال هذه الأهمية لتحقيق أماله الخائنة.** من المعلوم أيضاً بأن هذا التنظيم يقوم بتشكيل نقاط الضعف لهؤلاء الأشخاص الذين لهم أهمية خاصة في حال لم يكن لديهم نقاط ضعف من خلال اللجوء إلى الطرق المشؤومة. لم يستطع البعض مقاومة هذه الشبكة الخائنة واستسلم لها. ولكن هناك البعض أيضاً من الوطنيين الذين استطاعوا الصمود أمام كل المكائد التي نصبها التنظيم لهم وأظهروا شخصية وطنية يحتذى بها. حيث كان لهؤلاء الوطنيين دوراً أساسياً في كتابة الأسطورة التي أظهرها الشعب التركي قبل وبعد 15 تموز ضد هذه الشبكة الإرهابية وقد استشهد البعض في هذا الطريق وأضحى البعض الآخر مجاهداً.

إن وقوف الشعب التركي ليلة 15 تموز في وجه هذه الشبكة الإجرامية الدولية السرية والمعقدة أمر لا يمكن وصفها حيث كانت وقفة أسطورية كبيرة يصعب شرحها حقيقة. دعونا الآن نفق عند العوامل التي دفعت هذا الشعب العظيم لكتابة هذه الأسطورة. يجب علينا قبل كل شيء التركيز على مفهوم " الشعب ". كلمة الشعب هو عبارة عن مفهوم وجودي غرزه الإسلام في اللاوعي عندنا بطريقة لا يمكن نزعها كما هو الحال في جميع الشعوب الإسلامية. كلمة الشعب لدينا لها معنى واسع جداً لا يمكن مقارنتها بكلمة " nation " التي تعني " العرق " كما هو الحال في اللغات الغربية. كلمة الشعب عندنا تمتلك فحوى ثقافي بل وديني تعني التمحور حول القيم التي تجعل الإنسان إنساناً حقيقياً. لقد تم بعد تمزيق الدولة العثمانية بشكل خاص وبهدف تحويل كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية إلى أقوام بالمعنى الغربي الذي تعنيه كلمة " nation " تم اشتقاق كلمة " الشعب ". ولكن لم يتوافق هذا المفهوم مع الشيفرة الوراثية للمسلمين أي مبادئهم. وتبرز الآلام والمشاكل التي تعاني منها الجغرافية الإسلامية التجربة المعبرة لهذا المفهوم.

إن اتخاذ صلاح الدين الأيوبي الذي له مكانا هاما في المخيلة الغربية والشرقية مثالا في هذا الإطار سيكون مفيداً. إن فاتح القدس هذا كان من حيث الجذور كردياً ومن حيث العادات والآداب تركيا ومن حيث اللغة التي يتحدثها عربياً. ولذلك فإن فهم صلاح الدين من خلال النظرة القومية الوطنية كما هو الحال في القومية الوطنية الإنكليزية أو القومية الوطنية الفرنسية مستحيل. كمثال آخر يمكننا أن نتناول بلغار الفولغا الذين يعتبرون كمجموعة بشرية من المسلمين الأتراك الأوائل. لقد ورد على لسان العالم التاريخي المشهور ابن فدلان الذي أرسل رسولا من الخليفة العباسي لهؤلاء القوم بأن الأتراك يعتبرون كل من يتحدث لسانهم تركيا. أما بالنسبة للغرب فلا يعتبرون أي شخص من الأصول الشرقية مهما كان يتحدث اللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو أية لغة أوروبية أخرى منهم.

وبحكم النتيجة نلاحظ أن هناك ثلاث عناصر أساسية مؤسسة لمفهوم الشعب الذي أنشأه الدين الإسلامي:

**1. ملة إبراهيم:** أيما كان تعريف الشعب فهو الالتقاء وجدانياً عبر الفطرة السليمة. عندما نطلق من حقيقة تمرکز التقاليد النبوية بشكل إجازي حول الرسول (ص) فإن الاسم الذي أصبح رمزاً لهذه التقاليد هو النبي إبراهيم عليه السلام. ولذلك

فإن مفهوم الشعب يستخدم بشكل خاص مع النبي إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم<sup>1</sup>. ويمكن وصف ذلك بأنه شيفرة الوجدان والفترة السليمة إلى حد ما.

**2. الحنيف:** ويعني التعرف على الخطأ عن طريق المعلومة السليمة وتجنبه وبمعنى آخر رفض ما يخالف الفترة ورؤية الصواب أي الاستسلام لكل ما هو فطري<sup>2</sup>. وقد تحول هذه النظرة إلى مبدأ أساسي على الشكل رفض الخطأ " لا إله " والاستسلام للحق " إلا الله ". ولذلك فقد عرف الإسلام نفسه على أنه " دين حنيف " <sup>3</sup> وفي هذا الإطار فإن مقولة " أطع وأقذ نفسك! " التي تم غرزها في عقول المنتسبين لمنظمة فتح الله غولان مخالف بحد ذاتها لفترة الإنسان والوحي الإلهي.

**3. محمد (ص):** هو إثبات بين وواضح لإمكانية تجسيد الوجدان والفترة السليمة. حيث أنه عندما لم يعجب المشركين في مكة نبوة الرسول (ص) وطلبوا من الله تعالى أن يبعث لهم " رسولا ملاكا " أتى الجواب الإلهي رائعا بقوله لو كان الله سبيعت رسولا ملاكا لكان من يتجول في أزقة مكة هم الملائكة وليس المشركين في مكة<sup>4</sup>. وهذا الجواب في الحقيقة كان التعبير الأوضح لقدرة الإنسان على بناء حياة نموذجية بالقدرات التي أعطيت له كإنسان. وبالتالي يمكن انطلاقا من ذلك أن نفهم بسهولة الحكمة الكامنة وراء نزول القرآن الكريم في فترة امتدت 23 عاما. حيث كان المطلوب من فرد في شخص الرسول (ص) وأصحابه الذين التفوا حوله أن يقوموا بإنشاء مجتمع نموذجي يمثل مثالا تتخذه الأجيال القادمة في إنشاء أنفسهم.

وانطلاقا من ذلك فقد تم الشروع بإنشاء الشخصية التي وجدت معناها في إطار هذه المفاهيم المؤسسة وفقا لمعناها النهائي في مكة وتتوج هذا المعنى من خلال مجتمع المدينة. وكانت رسالة الإسلام للعالم هو بناء " المدنية " انطلاقا من " المدينة ". وما يميزنا هو هذه الشخصية التي تم إنشاؤها انطلاقا من المفاهيم المذكورة. لقد نشأ كل فرد من أفراد شعبنا وفقا لهذه الشخصية التي عجنت بمفاهيم الدين والوطن والعلم والشرف وغرزت في شيفرته الوراثية شيفرة هذه الشخصية حتى دون أن يدري. هذه الشخصية هي التي جعلت شعبنا يدرك بغريسته أن هذا التحرك الخائن ليلة 15 تموز يقصد شرفه وهي التي دفعته لكي يتصدى له بصدرة العاري ويستشهد في هذا السبيل لإنقاذ دولته.

لنتذكر مرة أخرى تلك الليلة المشؤومة التي سطر فيها شعبنا أسطوره. لقد خرج الناس من مختلف القطاعات المجتمعية مع صوت التسابيح الصادرة عن مكبرات الجوامع للموت إذا دعت الضرورة وكأنهم يخرجون إلى الأعراس باتجاه الشوارع والساحات والمطارات والجسور ومؤسسات الدولة والمواقع الحرجة. لقد سار كل منهم لإنقاذ شرفه معا بروح الأصدقاء القدماء حتى ولم يكونوا على معرفة ببعضهم ضد الدبابات والظالمين وكأنهم يسيرون مع سوتجو إمام أو نانا خاتون أو قره يلان أو قره فاطمة. لقد كان روح التعاضد والتوحد منتشرا بين الشعب لدرجة أنني لا أستطيع وصف هذه الحالة المباركة. لقد خرج أكثر من أربعين مليون إنسان بمختلف الأعمار من 7 إلى 70 سنة من العمر لإنقاذ وطنهم تلك الليلة ولو كان الثمن عدم العودة. إن هذا الروح هو الروح الذي يجب علينا تقويته. مهما كنا مختلفين مع بعضنا فهناك حقيقة واحدة وهي أن وجودنا كان دائما رهنا لوحديتنا. وقد كنا قد تعاهدنا على ذلك. وهذا ما كان يخيف الظالمين دائما ولذلك هجموا بكل قوتهم للقضاء على ذلك. ولكن لم يكن باستطاعتهم الوقوف أمام هذه الصدور المليئة بالإيمان لهذا الحد ولم يستطبعوا الوقوف. وكان هذا تجسيدا للخطاب الذي يستطيع أن يتعايش فيه كل الاختلافات. مع العلم أن هذا هو القيمة الكبيرة التي أضافتها الحضارة الإسلامية للإنسانية. ومن أجل القضاء على ذلك في الحقيقة كان المهاجمون يطلقون الرصاص دون أدنى شعور. وقد كان هذا الروح هو المقصد في الهجمات التي بدأت على العالم الإسلامي بعد 11 أيلول 2001 بشكل خاص. وكان الهدف الرئيسي في هذه الهجمات هو إشعال هذه الاختلافات وجعل هذه الأمة العزيزة تضرب بعضها البعض. لقد عانت

<sup>1</sup> انظر البقرة 135/2 وما بعد

<sup>2</sup> انظر آل عمران 67/3 – 68 وما بعد

<sup>3</sup> انظر النساء 125/4 وما بعد

<sup>4</sup> انظر المؤمنون 24/23 وما بعد

الأمة كثيرا من هذه العقلية المريضة. وقد وقع الملايين من الناس في هذه الأوقات الحرجة مظلوما على تراب وطنهم. قد يكون ذلك بعضا من غفلتنا حيث عشنا ذلك في التاريخ. وكانت غفلتنا الكبيرة هي الأندلس. ووقعنا في هذه الغفلة كثيرا في هذه البلاد أيضا. وكان اسم غفلتنا هو الصليبيين. عدنا وتذكرنا روحنا وتوحدنا. وفي بعض الأحيان تعرضنا للغزو المغولي فتوحدنا. في وقت آخر وقعت الحرب العالمية فسجلنا أسطورة جناق قلعة وعدنا من حافة الهاوية. ثم أخيرا وقعت حادثة 15 تموز فسقط منا شهداء فتوحدنا وتغلبنا عليها. وما عشناه هو نتيجة لغفلتنا. وأنقذنا دعائنا من الهاوية. ودعاء أكثر من ثلاث ملايين سوري وعراقي وأخوتنا من المظلومين في البلدان الصديقة والقلوب التي خفقت من أجل هذا البلد.

---

لقد تشكل من صوتنا الصادق والخافت التي يصل لجميع أرجاء العالم من أفريقيا إلى آسيا. ولذلك فإن المرهم الذي سيكون علاجاً للكوارث التي تحيط بمنطقتنا والعالم هو هذا الروح. الحل الوحيد هو تذويب اختلافاتنا التي هي ناتجة عن طبيعتنا كإنسان في بوتقة مشتركة والسعي لأن نكون جسداً واحداً. وما أحب أن أذكر به أخيراً هو أن الله اختار كلمة "المسلمين" اسماً لنا وما يترتب علينا هو ألا نتفاخر باسم آخر غير هذا الاسم<sup>6</sup>.

---

<sup>6</sup> انظر الحج 78/22